قبسات من مواكب النبوة

نَبيُّ اللّه
هُود عليه السلام

بقلم

إبراهيم يوسف نصير

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نبي الله هود عليه السلام/ لجنة التأليف والترجمة في مكتبة العبيكان - الرياض

١٨ ص، ١٧× ٢٢ سم ،- (سلسلة قبسات من مواكب النبوة للفتيان)

ردمك: ٣-٦٧٩-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٥-٦٨١- ٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)

١- قصص الأنبياء ٢- هود (عليه السلام) أ- السلسلة

ديوي ٥ ,٢٢٩ ٢١/١٦٩٢

ردمك: ٣-٦٧٩-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم إيداع ٢١/١٦٩٢

٥-٦٨١- ٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشـــــر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

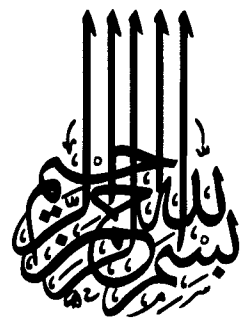
بسم الله الرحمن الرحيم

مولده ونسبه:

في أرض الأحقاف، شمال حضرموت، مابين اليمن وعُمان كانت تعيش قبيلة عاد في خير وفير، وفيهم وُلِدَ هود عليه السلام، وقد كان من أوسطهم نسباً، حيث ينتهي نسبه إلى سام بن نوح عليه السلام، أي: من سُلالة الأنبياء.

نشأته:

عاش هود في قومه حياة تميَّز فيها بحُسن الخُلق والحِلْم. يتسع صدره لكل ما يصدر عن قومه.

من هم قوم هود؟

هم قبيلة عاد العربية؛ التي كانت تسكن في أرض الأحقاف، وتعيش حياةً ملؤها الرفاهية ورغد العيش، وقد أمدهم الله بنِعَمٍ وافرة؛ من زراعة وبساتين وعيون الماء وقصورٍ عظيمة؛ وفوق ذلك آتاهم قوة في الجسم، فلقد كانوا أصحاب هامات طويلة. إذن؛ هاهم عاد قوم أقوياء جبابرة، أقاموا حضارة عظيمة.

إلى من أرسله الله؟

أرسله اللهُ إلى قومٍ جبابرة، أصحاب حضارة عظيمة، وأجسام قوية

ضخمة، ونِعَمٍ وافرةٍ، فهذه الأنهارُ تجري من تحتهم، وهذه الثمارُ تخرجُ من أراضيهم، وهذه الأبنية الضخمةُ التي يُشَيِّدُونها؛ لتكون لهم أثراً خالداً يدل الناس من بعدهم على قوتهم ومقدرتهم.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

فَزَيَّنَ لهم عدوُّ الله إبليس الشركَ والفُجور، والكِبْر والغُرور وزَيَّنَ لهم في نفوسهم حبَّ شهوات الدنيا وملذاتها، يستزيدون منها ولا يشبعون، فينسون الآخرة وما فيها من حساب على كل هذه النِّعم، من أين اكتسبت وفيما أنفقت؟.

وهكذا.. استكبرت عاد في الأرض بغير الحق..

كانوا يرون أنهم فوق الناس جميعاً، قوة أجسام، وعلم بشؤون الدنيا وعمارتها... وكانوا هم كذلك فعلاً. إذا بطشوا بعدوٍ بطشوا جبارين، يهلكون ويبيدون. يبنون بكل مكان أبنية عظيمة، هي آية على مقدرتهم وعلمهم وحضارتهم، ويتخذون مساكن وأبنية؛ لتدل من يأتي بعدهم على ما وصلوا إليه من تقدم ورقي في العلوم والفنون واستغلال النواميس والقوانين التي خلقها الله في الأشياء لصالحهم.

ونسوا الله الذي خلقهم وخلق لهم قوتهم وعقولهم. نسوا الله الذي أعطاهم الحياة المديدة والعقول السديدة؛ فأخرجوا بركات الأرض وكنوزها. نسوا الله الذي خلق الأرض وأودع فيها كنوزها وخيراتها وسَخَّرها لبني آدم.

وقالوا: ﴿ **مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً** ﴾ [**فصلت**: ١٥].

قالوا: من ذا الذي يستطيع أن يثني عنانا؛ أو يمنعنا عما نريد؟..

إننا نفعل ما نشاء؛ وقتما نشاء؛ وكيفما نشاء.

إذن؛ كانت تلك هي حياتهم وأخلاقهم وسلوكهم، حياة كلها غلظة وشدة وقسوة وكفر بالله وعبادة الأصنام، حتى إنه يُقال. إنهم أول من عبدَ الأصنام والأوثان من العرب بعد الطوفان.

قال تعالى: ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً** ﴾ [**فصلت**: ١٥].

إن الله هو الغالبُ القويُّ، وهو العزيز الجبار، وهو وحده – سبحانه – الذي لا يُسأل عما يفعل.

إن الله الذي خلقكم هو صاحب القوة. خلق لكم قوتكم وإن شاء سلبها ما دمتم في غَيِّكم سادرين؛ فانتظروا أن يذهب الله بنعمتكم

وأن يعمِّكم بعذاب أليم شديد.

رسالته إلى قومه:

أرسل الله هوداً وأمره بأن يبلغ رسالته إلى قومه، عَلَّهم يهتدون ويرجعون إلى فطرتهم التي جبلهم الله عليها.

استجاب هودٌ لأمر ربه، وأخذ يدعو قومه.

قال لهم: يا قوم، تعلمون أني أخٌ لكم، أحبكم وأرجو لكم الخير والعزة والسيادة. يا قوم، ما من إله إلا إله واحد يا قوم إنكم تشركون بالله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وتعبدون معه أوثاناً وأصناماً لا تضر ولا تنفع، وهذا يغضب الله مولاكم.

هذا يغضب الجبار المنتقم، وقد أرسلني إليكم لأنذركم وأبين لكم فساد هذا العمل، وأدعوكم إلى أنْ تفردوه وحده ـ سبحانه ـ بالعبادة. يا قوم، إن إبليس عدوكم الأول هو الذي أغراكم بهذا الفعل القبيح ليجركم معه إلى جهنم، فتوبوا إلى ربكم وأنيبوا له.

ياقوم، إني أعلم أنكم أقوياء جبابرة، استطعتم أن تستخرجوا بركات أرض الله، وأن تسخروا نواميسها وقوانينها لصالحكم، وهأنتم أولاء ترون الأرض قد أجدبت، لا ماء ولا مطر، وقد مات الزرع، وجَفَّ

الضرع، ولو استمر الحال هكذا طويلاً أضعفكم وأضرَّ بكم..

ستذهب الثروة، وتذهب القوة، ثم يموت من يموت منكم جوعاً وعطشاً، ويحيا من بقي حياة الضعف والذلة.

يا قوم، إني أدعوكم لتؤمنوا بالله وحده، وتتبرؤوا من هذه الآلهة الكاذبة، وانتظروا النتيجة. سوف ترون السماء تجود عليكم بالمطر المبارك، وسوف ترون الأرض تخرج لكم خيرها وثمرها الطيب. سوف تزداد قوتكم ويزداد نعيمكم، فأطيعوني تهتدوا.

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٠ - ٥٣].

موقفه من قومه:

ماذا كان ردُّ سادة عاد وعظمائها أمام دعوة أخيهم البار ونبيهم العظيم؟.. **﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾** [الأعراف: ٦٦].

هكذا حال أعداء الحق، لا يتدبرون دعوة الصالحين ولا يعقلونها، وإنما

يسارعون إلى رمي الدُّعاة بالسفاهة والجهل، وهم أول من يعلم كذب هذه الدعاوى..

قال لهم نبيهم هود بلسان مبين وقلب ناصح:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

هل جربتم عليَّ مرة سفاهة؟!! يا قوم، ليس بي سفاهة، وأنتم أول من يعلم ذلك، ولكني رسول رب العالمين، اختارني الله على علم، لأُبلِّغكم رسالته، وأنصح لكم، وأدلكم على الخير، ثم ما الذي دعاكم إلى أن تتهموني بهذه التهمة الظالمة؟. ألأنني رجل منكم يحمل رسالة ربكم إليكم لتؤمنوا وتتوبوا وتنيبوا؟.. ما العجب في ذلك؟

يا قوم، توبوا إلى بارئكم الذي أنعم عليكم بكل ما يحيط بكم من نِعَم.

حوار الإقناع بالحق:

لم يفكر قوم هود فيما أورده عليهم نبيهم من حجج ناصعة، ولم يرجعوا إلى فِطَرهم التي خلقهم الله عليها، استمعوا لنزغات إبليس وبالغوا في العناد والتحدي.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٣، ٥٤].

قالوا: يا هود، إنا نرى أنك قَصَّرْتَ في عبادة هذه الأصنام وتلك الأوثان، وإنها اطلعت منك على الكفر بها والتهوين من شأنها، فانتقمت منك وأصابتك في عقلك؛ فجعلت تقول هذا الكلام، والدليل على ذلك أنك لم تأتِ معك بمعجزة كي نُصدِّق بها دعواك ونؤمن بك.

قال هود عليه السلام: إن جوابي عليكم هو أنني أتحدَّى هذه الآلهة أن تمسني بسوء. هآنذا أشتمها وأسبها وأدعوا إلى نبذها وكسرها، وهآنذا أمشي بينكم صحيحاً معافى، فلو كانت هذه الأصنام آلهة حقاً لغضبت لنفسها وانتقمت مني، ولكنها لن تفعل شيئاً، ولن تستطيعوا أنتم أن تفعلوا بي شيئاً، ولا أن تمسُّوني بأدنى سوء، لأن الله رب كل شيء حافظني ومانعني منكم، وهذا وحده كافٍ في معرفة أني أدعو إلى الحق وأنني رسول من رب العالمين.

السادة يقودون حملة العصيان:

كان السادة والمترفون أصحاب الرأي والقيادة في عاد – إرم ذات

العماد – هم الذين تولوا حمل راية العصيان والتكذيب وتبعهم بقية قومهم.

كان أولئك السادة يخدعون البسطاء والضعفاء بحجج واهية لا تقوم في ميزان العقل والفهم الصحيح للأمور، وكان أولئك المخدوعون يسيرون وراء الجاه والعز والدنيا التي في أيدي هؤلاء السادة المترفين، لاغين عقولهم فأوردوهم النار كما وردوا.

﴿ **وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٣٣، ٣٤].

نعم.. هو بشر، ما قال غير ذلك ولكن الله اصطفاه رحمة منه ـ سبحانه ربكم ..

كفاكم إثماً إنكم تأكلون رزق الله وتكفرون به، وكفاه فخراً أنه يأكل رزق مولاه ويقر بالفضل والشكر له سبحانه.

أخيراً أعلن أولئك السادة المُتَّبَعون، وبقية القوم من التَّابعين لأولئك السادة كلمة الكفر صريحة واضحة.

﴿ **قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلاَّ**

﴿خُلُقُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[الشعراء: ١٣٦، ١٣٨].

وقالوا:

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[المؤمنون: ٣٥، ٣٨].

حينئذ.. دعا هود رَبَّه أن ينصره فاستجاب له.

نهاية قوم عاد:

كان لابد أن تمضي سُنَّةُ الله في الأولين والآخرين أنه ـ سبحانه ـ يُهلك العُصاة الكافرين، ويُنجي المؤمنين الأتقياء. تتابع الجدبُ وقَلَّ المطر، وفي يوم من الأيام، نظر قوم عاد فإذا بالسماء سحابة آتية من بعيد.

استبشروا وفرحوا، وقالوا هذا العارض وتلك السحابة سوف تمطر مطراً غزيراً تعوضنا به سنوات الجدب.

وبالغوا في الاستهزاء بالمؤمنين وآذوهم حينئذ وربما قربوا القرابين لآلهتهم الكاذبة؛ شكراً لها على ذلك الغَيم القادم من بعيد.

ولكن هوداً عليه السلام كان يعلم أنها عذابُ الله الآتي ليهلك

الكافرين. لم تكن سحابة خير، بل كانت ريحاً عقيماً، ريحاً باردة .. شديدة .. عاتية.. خالية من كل خير.. وإنما هي نقمة الله وغضبه على هؤلاء الكافرين..

أرسلها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة، لا تهدأ ولا تضعف حتى أفنت هؤلاء الكافرين عن آخرهم، ذهبت الحضارة وتهدم البنيان القوي، مُحيت الآيات وقُطع دابر قوم عاد، كأنهم ما كانوا، ويوم القيامة سوف يلاقون العذاب الشديد قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ**﴾[الحاقة: ٦-٨].

لقد أرسل الله عليهم الريح العقيم التي لا خير فيها، فكانت تدخل على الواحد منهم فتلفُّه ثم ترفعهُ إلى السماء، ثم تهوي به بقوة إلى الأرض، فتشدخ رأسه، فيبقى جُثَّة هامدة من دون رأس؛ كساق النخلة المقطوع رأسها فانظر كيف كان عاقبة المكذبين.

نجاة هود والمؤمنين معه:

نَجَّى الله برحمته نَبيَّه هوداً والمؤمنين معه؛ لتبتدئ مرحلة جديدة في صراع الخير والشر؛ طالما كانت هناك على الأرض حياة؛ حتى يرث

الله الأرض ومن عليها.

وفاة هود عليه السلام:

عاش هود – عليه السلام – بقية عمره في حضرموت التي انتقل إليها بعد نجاته هو ومن آمن معه حتى انتقل إلى جوار ربه آمناً مطمئناً مع النبيين.

دروس وعبر مستفادة من قصة هود:

١- يجب أن لا يغترَّ الإنسان بقوَّته مهما بلغت.

٢- يجب ألا نقابل الشر بمثله، بل نقابل الشر بالخير، والإساءة بالحسنة.

٣- يجب أن يعتز المسلم بدينة، ويتمسك بمبادئه القوية.

٤- يجب أن تكون ثقة الإنسان بربه قوية، وأن يجعل اعتماده على الله أساس حياته، وذلك بعد أخذ الأسباب.

٥- يجب على الداعية أن يكون هاشاً باشاً، ليناً في كلامه، لطيفاً في أسلوبه، رحيماً في مسلكه.

٦- من أهم صفات الداعية إلى الله: الحلم، وسعة الصدر، وحسن المجادلة، والترتيب في المناقشة للإقناع.

٧- العقاب حق وعدل لكل ظالم عَظُمَ شرُّه، وأصرَّ على عصيانه.

٨- النهي عن المفاخرة والخيلاء بعظم المباني، لأنها من الأمور الزائلة.

٩- العقول وقوة الأذهان والنبوغ والذكاء مهما بلغت من القوة ومهما ترتب عليها من آثار فإنها لا تنفع صاحبها، إلا إذا اقترن بها إيمان بالله يرشد فعلها ويصلح آثارها.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**

مولده ونسبه. ٥

نشأته. ٥

من هم قوم هود؟ ٥

إلى من أرسله الله؟..... ٥

رسالته إلى قومه. ٨

موقفه من قومه. ٩

حوار الإقناع بالحق. ١٠

السادة يقودون حملة العصيان. ١١

نهاية قوم عاد. ١٣

نجاة هود والمؤمنين معه. ١٤

وفاة هود عليه السلام. ١٥

دروس وعبر مستفادة من قصة هود. ١٧